كان وقبائلها «7»

محمد القعود
Kood500@hotmail.com

كان الرصاص
يزاحم أذان الفجرِ
ويقدّم نفسه بديلاً للحياة..
يطل على هدهدة الأطفال
بكامل حرائقه، وحكاياته المسكونة
بمصّاصي الدماء.

كان الرصاص
يرشق وداعة المدينة بقبلاته الحارقة،
ويوزّع هداياه المجانية على المارة..
يسهر حتى مطلع الألم
ويكثّف من حضوره الصاخب
أمام عوانس سفارات الفيتو
ويطرب كثيراً لبيانات الإشادة ببطولاته.

كان الرصاص
يذهب إلى مكتب النائب العام
ويقدم بلاغه ضد الصدور التي اعترضت طريقه،
وضد الرؤوس التي اخترقت حضوره،
وضد القانون الذي يشوّه سمعته،
ويسيء إلى شخصيته ومكانته الاجتماعية،
وضد الأطفال الذين لم يفهموه بعد.

كان الرصاص
يسير مخفورا بأعراف الغدر،
يتحدث بلباقة إلى فضائيات العهر السياسي
عن نضالاته في التنمية
وعن خدماته في تجارة الحروب،
وعن وطنيته العالية البارزة.؟!
كان الرصاص يؤدي دوره بصورة غير متوقعة
وحين تنتقد تصرفاته المتسرعة
يُطلب منه تقديم تبريرات مقنعة
لجموع تهتف بلا عقول
تنتابه وعكة ضمير متأخرة
فيشير إلى جميع من منحوه رخصة سير
وهو لا يعرف قيادة سيارته المجهولة..

كان الرصاص
يدوّن في مذكراته اليومية
جميع المناسبات التي حضرها
وجميع الوجوه التي كانت تبتسم له
وجميع الأيدي التي كانت تشد على يديه
وتبارك خطاه المجيدة.

كان الحقد
يوزع أنصاره الغرباء
أمام الحدائق ومدارس الأطفال
وفوق البيوت وتحت الأسفلت
وبين عقارب الساعة
يمنحهم ذخيرة من الكراهية
وأصابع إضافية للمآسي المطورة
وسيرة ذاتية للخراب العشوائي
وأطرافا صناعية للفتن المعاقة

كان الحقد
ينفق أوهامه على أمراضه المتعددة
ويذيع عبر جرذانه الجوعى
أن قمح الأمان في مرمى أنيابه
وأن «نسيم الصباح» لن ينهض من نومه
وأن قذائفه أميةٌ لا تعرف التحليل السياسي.

كان الحقد
يطوي سيرته الملبدة بعلامات التعجب
ويطلب من ثقوبه الصفراء
تجميع ملامحه الجديدة
وترويج ملحمته الثورية.

كان المتراس
يكتب فصلاً جديداً في كتاب التخلّف،
ويعلن للغد المغرّر به
مشروعه الحضاري بتعميم الخراب المجاني
ومنح الذعر صلاحية التجوال والعربدة.

كان المتراس
يعترض طريق التلاميذ نحو مدارسهم،
ويمنع الإنسانية من عبورها نحو ملجأ الأيتام،
ويصوّب عفويته نحو الطيور المسالمة
ويسدد أمانيه السوداء نحو البيوت
وينشر حقده المكثّف على طول شوارع البلاد.

كان المتراس
يزدحم بأسلحة تخاصم الحياة
وبوجوهٍ لا تمت إلى البشرية بصلة قرابة،
وبفكر أعمى يمجّد عتمة الخطى
وبرغبة بلهاء في السيطرة على الصدى.

كان المتراس
يغتاظ من هيبة القانون
ويغار من رقصة السلام..
يطرق الأبواب بعنفٍ
بحثاً عن الأحلام المختبئة
ويفتش الصمت بحثاً عن فكرة ترفض الخنوع.

كان المتراس
يتنفّس بارود الشتات
ويرتجل زوامله العاشقة للحروب،
يعلّق الأعراف النبيلة فوق أكتاف الرصاص
ويطرّز صدر المدينة بجثث الأطفال.

كان المتراس
يترجم عنجهيته بعدة طلقات
ينفخ وجنتيه بالقات المدعّم بمشروب الطاقة
وببطولات ورقية
ويزهو فوق أنين الضحايا
بأمجاده الدخانية.

كان المتراس
يتبوّل وجوهاً شياطينية
ويلطّخ جدران السكينة
بهذيانه،
يتّهم البيئة برفض هيبته
ويدّعي أن العصافير تقلق راحته
وأن الضوء يتدخّل في شؤونه
وأن الأسفلت يهدّد نفوذه.

كان الحرف
يُقتاد عنوة إلى أداء الخدمة الحزبية
ويمنع من مواصلة الحقيقة
أو الجلوس مع تأملاته الحميمة..
يفك ارتباطه بأي معنى
ويرمي بشخصيته في أقرب نسيان
حسب تعليمات شيخه الملتحي.

كان الحرف
يتعوذ من قصائد العشق
ومن جميع المواويل التي تتغنى بالوطن
وإن مرت امرأة في حبره
يستغفر طويلاً من ذنب لم يرتكبه
ويتبرع لصندوق مجهول بنواياه الطيبة
وببقايا مصروفه اليومي.

كان الحرف
يغتسل في نهر النور
ويمرح ببراءة مع المعاني العابرة
يضمر الخير لجميع الكائنات/اللغات
ويدخر بعض الثمار الناضجة للأوراق البيضاء
ويهدي تحياته العاطرة عبر الإذاعة
لكل المرابطين على حدود الفجر.

كان الحرف
يرعى أطرافه في مراعي الأفكار
ويغفو تحت أشجار الشعوب
ويصاب بحالة اكتئاب شديدة
إن طالبوه بالمشاركة في تظاهره دخانية
تهتف بسقوط الحرية.

كان الفلُّ
يطوف على مواضعه المفضلة
فيجدها مستعدة للحوار والعناق
وغير مهيأة بالعبث بأشياء لا تخصها
أو التنازل عن آهة في مهب الالتياع.

كان الفلُّ
يبحث عن فرصه نادرة
فيجدها مشغولة بلم تفاصيلها
وغير مهيئة للسفر الحميم
في شرفة عاشق أو شاطئ مقمر
أو غرفة تتنهد زواياها بالوشايات المتبرجة.

كان الفلُّ
يموسق حضوره الدستوري
ويمد نفوذه الطاغي
إلى القارات المجهولة
ومناطق الحدود المحظورة،
ينيخ قوافله المثقلة باللوعة،
على الأراضي الطيبة،
ويدعو مرشح الأشواق
إلى ممارسة مهامه بصورة طبيعية.

كان الفلُّ
يترك معانقة الاحتفال
ويذهب لينحر هيجانه
ويسكب اضطرام رحيقه
فوق فكرة رشيقة تشاغبه بأنوثة متوحشة.

كان الفلُّ
ينام بعمق وسلام
كلما وجد وسادةً تفيض بالإحساس.

● مقاطع من نص طويل

إصدارات ثقافية

أربع روايات جديدة من الأدب الأمريكي

صدر عن مشروع «كلمة» – هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أربع روايات أمريكية جديدة، هي: «شجرة الدخان» لدنيس جونسون، وثلاثية «تدبير منزلي»، «جلعاد»، «البيت» للكاتبة مارلين روبنسون، والروايات الأربع هي من ترجمة سامر أبو هواش الذي سبق له أن ترجم عن الأدب الأمريكي أيضاً مشروع الشعر الأمريكي الذي صدر عن «كلمة» في ١٥ مجلداً وتضمن ألف قصيدة لأبرز الشعراء الأمريكيين المعاصرين، كما ترجم الأعمال القصصية الكاملة لوليم فوكنر، وأيضاً مجموعتين من حكايات الهنود الحمر.

رواية «شجرة الدخان» الملحمة التي اعتبرها الناقد في «نيويورك تايمز» أفضل رواية أمريكية صدرت عام ٢٠٠٧، ووصفها بأنها «تحفة أدبية»، تجري أحداثها بين عامي ١٩٦٣ و١٩٧٠، في فيتنام خلال الحرب، وتدور أحداث الرواية على امتداد العقود الأربعين الماضية وصولاً إلى الوقت الراهن راسمة صورة عميقة عن المجتمع الأمريكي والتحولات التي عصفت به خلال هذه الحقبة.

الرواية فازت بجائزة «ناشيونال بوك أوورد» المرموقة للعام ٢٠٠٧، وكانت بين الروايات التي وصلت إلى «اللائحة القصيرة» لنيل جائزة «بوليتزر». وهي الرواية الثامنة لجونسون المعروف أيضاً بكتابة الشعر والقصة القصيرة والمسرح.

أما مارلين روبنسون، فتحتل منذ مطلع الثمانينات من القرن الماضي، أي تاريخ صدور روايتها الأولى «تدبير منزلي»، مكانة متميزة في المشهد الأدبي الأمريكي، ليس فقط بسبب الشعبية التي حظيت بها أعمالها، كما الحفاوة النقدية التي استقبلت بها، والتي ترجمت بنيل كتبها أرفع الجوائز الأدبية الأمريكية، بل أيضاً بسبب الحيز الخاص الذي تمكنت الكاتبة من وضعه لنفسها، ككاتبة مقلة «صدرت لها ثلاث روايات فقط حتى الآن» تجمع بين أفضل ما في تقاليد السرد الروائي الأمريكي – كما نعرفه مثلاً من خلال فوكنر وفيتزجيرالد، حيث نجدها تسلك الطريق الصعب، غير الشعبوي ولا المستجيب لنزعات واتجاهات طارئة، وفي الوقت نفسه فإنها تلامس الروح الأمريكية المعاصرة بكل تناقضاتها وتشابكاتها، وذلك من خلال الغوص أعمق في المجال الفردي، بل شديد الفردية إلى درجة يحسب بعضهم خطأ أنها إنما تكتب شبه سيرة ذاتية، إنما الهادف إلى تجسيد صورة من صور المجتمع الأمريكي، خاصة من خلال مسألتي العائلة والدين اللذين يشكلان العمود الفقري لروايات روبنسون الثلاث.

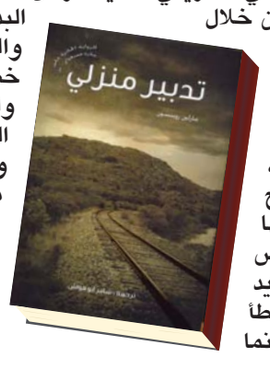

في هذه الروايات الثلاث يتعرف القارئ العربي على صوت مختلف تماماً؛ صوت يقوده بلغة حميمة مختلفة تجمع بين البلاغة والبساطة، والشعرية والواقعية، إلى عالم تتصارع فيه أسئلة الهوية والتاريخ والمكان والفرد والجماعة، والأهم من كل ذلك الروح الإنسانية، واللعنة والخطيئة والمغفرة والبحث عن السعادة أو الرضا في المعيش البشري. هذه الروايات حازت أرفع الجوائز الأدبية الأمريكية مثل بوليتزر وأورانج وناشيونال بووك أوورد، ووضعت روبنسون في مصاف أبرز الروائيين الأمريكيين والعالميين المعاصرين.

يذكر أن مشروع كلمة الحريص منذ البداية على التوازن في اللغات والثقافات التي يترجم عنها، قد خصص حيزاً كبيراً للإنتاج الأدبي والمعرفي الأمريكي شأنه في ذلك شأن اللغة الفرنسية والإيطالية والألمانية والهندية وغيرها، فترجم مجموعة من الدراسات التي تتعلق بالتاريخ الأمريكي ومنها مذكرات الرئيس الأمريكي باراك أوباما، وكتابان عن الدستور الأمريكي وحكاية وضعه وظروف نشأته، إضافة إلى مجموعة من كتب الأطفال والناشئة، ومجموعة من الدراسات حول الطاقة البديلة وحقوق الملكية الفكرية، كما ستشهد المرحلة المقبلة إصدار سلسلة «الحياة اليومية عبر التاريخ» الصادرة عن «غرينوود برس» الأمريكية المرموقة، إضافة إلى المزيد من العناوين الأدبية والفكرية وغيرها.

المترجم سامر أبو هواش مولود في مدينة صيدا لأبوين فلسطينيين عام ١٩٧٢، شاعر وروائي ومترجم، من ترجماته: «على الطريق» لجاك كروالك، «حياة باي» ليان مارتل، «بوذا الضواحي» لحنيف قريشي، «شجرة الدخان» لدنيس جونسون، «كتاب الشاي» لكاكوزو أوكاكورا، له في الرواية: «عيد العشاق» و«السعادة»، ومن أعماله الشعرية: «شجرتان على السطح»، و«تحية الرجل المحترم»، و«تخيط ثوبا لتذكر».

حال الأمة العربية

■ صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية طبعة أولى لكتاب «حال الأمة العربية ٢٠١٠– ٢٠١١ رياح التغيير.

وجاء في تعريف الكتاب ما يلي:

يتضمّن هذا الكتاب – التقرير حال الأمة العربية ٢٠١٠ – ٢٠١١ رياح التغيير، فقد بدأ بأوائل العام ٢٠١٠ من حيث انتهى التقرير السابق عليه، وامتد برصد الأحداث والمتغيرات وتحليلها إلى أوائل أيار/مايو ٢٠١١، نتيجة التطورات المتسارعة في تونس ومصر. ثم إن تداعيات التحولات الثورية في الأقطار العربية– وفي مصر بالذات – بدأت تؤتي ثمارها، كما في التوصل إلى المصالحة الفلسطينية في نهاية نيسان/أبريل٢٠١١، بكل ما يعنيه ذلك من آفاق أفضل لمستقبل القضية الفلسطينية، وهو ما لم يكن ممكناً لهذا التقرير إغفال الإشارة إليه.

لذا، خُصّ مشهد الثورات والحركات الاحتجاجية العربية بفصل خاص، تميز بتحليل هذه البيئة الجديدة، وبيان العوامل الممهدة والمتراكمة عبر الزمن، مثل الاستبداد وتأبيد السلطة، بل وتوريثها، واستشراء الفساد، وضعف مستوى التنمية، وكذلك العوامل المعجّلة بالثورة أو المشعلة لها، ثم بيان خصائص تلك الثورات والحركات المطلبية.

وقد جاء التقرير لهذا العام في أحد عشر فصلاً؛ فهي تغطي الإطار العالمي، والإطار الإقليمي (تركيا وإيران)، والنظام العربي، وثورة الديمقراطية في الوطن العربي، والصراع العربي–الإسرائيلي، والأوضاع في كلٍّ من: لبنان والعراق واليمن والسودان والصومال، وأخيراً أداء الاقتصادات العربية. يقع الكتاب في ٣٠٤ صفحة.